كتاب أسرار الحج

وهو الكتاب السابع من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حـرزا وحصـنا وجعل الـبيت العـتيق مثابة للنـاس وأمنا وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العـذاب ومجنا والصلاة على محمد نـبي الرحمة وسـيد الأمة وعلى آله وصـحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبـادة العمر وختـام الأمر وتمـام الإسـلام وكمــال الــدين فيه أنــزل الله عز وجل اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمــتي ورضـيت لكم الإسـلام دينا وفيه قـال صـلى الله عليه وسـلم من مـات ولم يحج فليمت إن شـاء يهوديا وإن شـاء نصـرانيا حـديث من مـات ولم يحج فليمت إن شـاء يهوديا وإن شـاء نصـرانيا أخرجه ابن عـدي من حـديث أبي هريـرة والترمـذي نحـوه من حـديث علي وقـال غريب وفي إسناده مقال فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويسـاوي تاركها اليهـود والنصارى في الضـلال وأجـدر بها أن تصـرف العناية إلى شـرحها وتفصـيل أركانها وسـننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب البـاب الأول في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركان وشرائط وجوبها البـاب الثـاني في أعمالها الظاهرة على الـترتيب من مبـدأ السـفر إلى الرجـوع البـاب الثـالث في آدابها الدقيقة وأسـرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلنبـدأ بالبـاب الأول وفيه فصـلان الفصل الأول في فضـائل الحج وفضـيلة الـبيت ومكة والمدينة حرسـهما الله تعـالى وشد الرحــال إلى المسـاجد فضـيلة الحج قـال الله عز وجل وأذن في النـاس بـالحج يـأتوك رجـالا وعلى كل ضامر يـأتين من كل فج عميق وقـال قتـادة لما أمر الله عز وجل إبـراهيم صـلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى يا أيها النـاس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجـوه وقـال تعـالى ليشـهدوا منـافع لهم قيل التجـارة في الموسم والأجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسـير قوله عز وجل لأقعدن لهم صـراطك المسـتقيم أي طريق مكة يقعد الشـيطان عليها ليمنع النـاس منها وقـال صـلى الله عليه وسـلم من حج الـبيت فلم يـرفث ولم يفسق خـرج من ذنوبه كيـوم ولدته أمه حـديث من حج الـبيت فلم يـرفث ولم يفسق خـرج من ذنوبه كيـوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبي هريرة وقال أيضا صلى الله عليه وسـلم ما رؤيالشـيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة حديث ما رؤي الشيطان في يـوم هو أصـغر الحـديث أخرجه مالك عن إبـراهيم بن أبي عيلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجـاوز الله سـبحانه عن الـذنوب العظـام إذ يقال إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة حديث من الـذنوب ذنــوب لا يكفرها إلا الوقـوف بعرفة لم أجد له أصلا وقد أسـنده جعفر بن محمد إلى رسـول الله صـلى الله عليه وســلم وذكر بعض المكاشــفين من المقــربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصـوف الظهر فقـال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسـمك قـال صـهيل الخيل في سـبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان أحب إلي قال فما الذي غير لونك قـال تعـاون الجماعة على الطاعة ولو تعـاونوا على المعصـية كـان أحب إلي قـال فما الـذي قصف ظهـرك قـال قـول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكـون قد فطن وقـال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة ومن مـات في أحد الحـرمين لم يعـرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجـرى الله له أجر الحـاج المعتمر إلى يـوم

القيامة ومن مـات في أحد الحـرمين لم يعـرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة أخرجه الـبيهقي في الشـعب بالشـطر الأول من حـديث أبي هريـرة وروى هو والـدار قطـني من حـديث عائشة الشـطر الثـاني نحـوه وكلاهما ضـعيف وقـال صـلى الله عليه وسـلم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة حـديث حجة مـبرورة خـير من الـدنيا وما فيها وحجة مـبرورة ليس لها جـزاء إلا الجنة أخرجـاه من حـديث أبي هريرة الشطر الثـاني بلفظ الحج المـبرور وقـال إن الحجة المـبرورة وعند ابن عـدي حجة مبرورة وقال صلى الله عليه وسـلم الحجـاج والعمـار وفد الله عز وجل وزواره إن سـألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا حديث الحجاج والعمـار وفد الله وزواره الحـديث أخرجه من حـديث أبي هريـرة دون قوله وزواره ودون قوله إن سألوه أعطـاهم وإن شـفعوا شـفعوا وله من حـديث ابن عمر وسـألوه فأعطـاهم ورواه ابن حبان وفي حديث مسند من طريق أهل الـبيت عليهم السـلام أعظم النـاس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له حـديث أعظم النـاس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له أخرجه الخطيب في المتفق والمفـترق وأبو منصـور شـهر دار بن شيرويه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف وروى ابن عبـاس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين حـديث يـنزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة أخرجه ابن حبان في الضـعفاء والـبيهقي في الشعب من حديث ابن عبـاس بإسـناد حسن وقـال أبو حـاتم حـديث منكر وفي الخـبر استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه في صـحفكم يـوم القيامة وأغبط عمل تجدونه حديث استكثروا من الطواف بـالبيت الحـديث أخرجه ابن حبـان والحـاكم من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هـدم مـرتين ويرفع في الثالثة وقـال الحـاكم صحيح على شرط الشـيخين ولهـذا يسـتحب الطـواف ابتـداء من غـير حج ولا عمـرة وفي الخبر من طـاف أسـبوعا حافيا حاسـرا كـان له كعتق رقبة ومن طـاف أسـبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنبه حديث من طـاف أسـبوعا حافيا حاسـرا كـان له كعتق رقبة ومن طـاف أسـبوعا في المطر غفر له ما سـلف من ذنوبه لم أجـده هكـذا وعند الترمـذي وابن ماجه من حـديث ابن عمر من طـاف بهـذا الـبيت أسـبوعا فأحصـاه كـان كعتق رقبة لفظ الترمــذي وحســنه ويقــال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفــره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السـلف إذا وافق يـوم عرفة يـوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضليوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا إذ نـزل قوله عز وجل اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمـتي ورضـيت لكم الإسـلام دينا حـديث وقوله وقوفه في حجة الـوداع يـوم الجمعة ونـزول اليـوم أكملت لكم دينكم الحديث أخرجاه من حديث عمر قال أهل الكتاب لو أنـزلت هـذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه أشهد لقد نـزلت هـذه الآية في يـوم عيـدين اثـنين يـوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسـلم اللهم اغفر للحـاج ولمن اسـتغفر له الحـاج حـديث اللهم اغفر للحـاج ولمن استغفر له الحاج أخرجه الحـاكم من حـديث أبي هريـرة وقـال صـحيح على شـرط مسـلم ويـروى أن علي بن موفق حج عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حججا قـال فـرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن موفق حججت عـني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فإني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب وقـال مجاهد وغـيره من العلمـاء إن الحجـاج إذا قـدموا مكة تلقتهم الملائكة فسـلموا على ركبـان الإبل وصـافحوا ركبـان الحمر واعتنقـوا المشـاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشـيعوا الغـزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثـام ويروى عن علي بن موفق قـال حججت سـنة فلما كـان ليلة عرفة نمت بمـنى في مسـجد

الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنـادى أحـدهما صـاحبه يا عبد الله فقـال الآخر لبيك يا عبد الله قـال تـدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت ربنا سـتمائة ألف أفتـدري كم قبل منهم قـال لا قـال سـتة أنفس قـال ثم ارتفعا في الهـواء فغابا عـني فـانتبهت فزعا واغتممت غما شـديدا وأهمني أمري فقلت إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند المشـعر الحـرام فجعلت أفكر في كـثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة قـال لا قـال فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قـال فـانتبهت وبي من السـرور ما يجل عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته قال فرأيت رب العزة في النـوم جل جلاله فقال لي يا علي تتسخى علي وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجـود الأجـودين وأكـرم الأكـرمين وأحق بـالجود والكـرم من العـالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته فضيلة الـبيت ومكة المشـرفة قـال صـلى الله عليه وسـلم ان الله عز وجل قد وعد هـذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة حـديث إن الله قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف الحـديث لم أجد له أصلا وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر إن الحجر الأسود ياقوتة من يـواقيت الجنة وإنه يبعث يـوم القيامة له عينـان ولسـان ينطقبه يشـهد لكل من اسـتلمه بحق وصـدق حـديث إن الحجر ياقوتة من يـواقيت الجنة ويبعث يـوم القيامة له عينـان الحـديث أخرجه الترمـذي وصـححه النسائي من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ النسائي وبـاقي الحـديث رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عبـاس أيضا وللحاكم من حـديث أنس إن الـركن والمقـام ياقوتتـان من يـواقيت الجنة وصـحح إسـناده ورواه النسـائي وابن حبـان والحـاكم من حـديث عبد الله بن عمـرو وكـان صـلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حـديث عمر دون قوله كثـيرا والنسـائي أنه كـان يقبله كل مـرة ثلاثا إن رآه خاليا وروي أنه صـلى الله عليه وسـلم سـجد عليه وكـان يطـوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طـرف المحجن حديث إنه كان يسجد عليه أخرجه البزار والحاكم من حديث عمر وصـحح إسـناده وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع قبله عمر وقـال إني لأعلم أنك حجر أخرجاه دون الزيادة التي رواها علي ورواه بتلك الزيادة الحاكم وقال ليس من شرط الشيخين ولولا أني رأيت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضي الله عنه فقـال يا أبا الحسن ههنا تسـكب العـبرات وتسـتجاب الـدعوات فقـال علي رضي الله عنه يا أمـير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمـؤمن بالوفـاء ويشـهد على الكـافر بـالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يـوم وصـدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع أيام يعـدل عمـرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي الخبر الصحيح عمرة في رمضان كحجة معي حديث عمرة في رمضان كحجة معي أخرجـاه من حـديث ابن عبـاس دون قوله معي فهي عند مسـلم على الشك تقضي حجة أو حجة معي ورواه الحاكم بزيادتها من غير شك وقـال صـلى الله عليه وسـلم أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل البقيع فيحشـرون معي ثم آتي أهل مكة فأحشر بين الحـرمين حـديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل البقيع فيحضـرون معي الحديث أخرجه الترمـذي وحسـنه ابن حبـان من حـديث ابن عمر وفي الخـبر إن آدم صلى الله عليه وسـلم لما قضى مناسـكه لقيته الملائكة فقـالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام حديث إن آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقـالوا بر حجك

يا آدم الحـديث رواه المفضل الجعـدي ومن طريقه ابن الجـوزي في العلل من حـديث ابن عباس وقال لا يصح ورواه الأزرقي في تـاريخ مكة موقوفا على ابن عبـاس وجـاء في الأثر إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فـأول من ينظر إليه أهل الحــرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصـليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الأولياء رضي الله عنهم قـال إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقـال لا تغـرب الشـمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبـدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طـاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصـبح النـاس وقد رفعت الكعبة لا يـرى النـاس لها أثـرا وهـذا إذا أتى عليها سـبع سـنين لم يحجها أحد ثم يرفع القـرآن من المصـاحف فيصـبح النـاس فـإذا الـورق أبيض يلـوح ليس فيه حـرف ثم ينسخ القـرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمه ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبـار الجاهلية ثم يخـرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والسـاعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقـرب الـتي تتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهـذا الـبيت قبل أن يرفع فقد هـدم مـرتين ويرفع في الثالثة حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث أخرجه البزار وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فإنه هـدم مـرتين ويرفع في الثالثة وروي عن علي رضي الله عنه عن النــبي صــلى الله عليه وســلم أنه قـال قالالله تعالى إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثـره حـديث قـال الله إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الـدنيا على أثـره ليس له أصل فضيلة المقام بمكة حرسـها الله تعـالى وكراهيته كـره الخـائفون المحتـاطون من العلمـاء المقام بمكة لمعان ثلاثة الأول خوف التبرم والأنس بالبيت فإن ذلك ربما يؤثر في تســكين حرقة القلب في الاحترام وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجـوا ويقـول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عـراقكم ولـذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشـيت أن يـأنس النـاس بهـذا الـبيت الثـاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العودة فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للنـاس وأمنا أي يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضـهم تكـون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خـير لك من أن تكـون فيه وأنت متـبرم بالمقـام وقلبك في بلد آخر وقـال بعض السـلف كم من رجل بخراسـان هو أقـرب إلى هـذا الـبيت ممن يطوف به ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فـإن ذلك مخطر وبـالحرى أن يـورث مقت الله عز وجل لشــرف الموضع وروي عن وهيب بن الــورد المكي قــال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشـكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطـائفين حـولي من تفكـرهم في الحـديث ولغـوهم ولهـوهم لئن لم ينتهـوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مـني إلى الجبل الـذي قطع منه وقـال ابن مسـعود رضي الله عنه ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى ومن يــرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أي أنه على مجرد الإرادة ويقال إن السيئات تضـاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الإلحـاد في الحـرم وقيل الكـذب أيضا وقـال ابن عبـاس لأن أذنب سـبعين ذنبا بركية أحب إلي من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية مـنزل بين مكة والطـائف والخـوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أن لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض وللمنع من الإقامة كـره بعض العلمـاء أجـور دور مكة ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضـعف الخلق وقصـورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا إن ترك المقـام به أفضل أي بالإضـافة إلى مقـام مع التقصير والتبرم أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهـات وكيف لا ولما عـاد رسول الله صلى الله عليه وسـلم إلى مكة اسـتقبل الكعبة وقـال إنك لخـير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلي ولولا أني أخرجت منك لما خـرجت حـديث إنك لخـير أرض الله وأحب بلاد الله إلى الله ولـولا أني أخـرجت منك ما خـرجت أخرجه الترمـذي وصـححه

النسائي في الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدي بن الحمـراء وكيف
لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه فضيلة المدينة الشريفة
على سائر البلاد ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من
ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام حديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة
فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث
ابن عمر وكذلك كل عمل بالمدينة بألفوبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها
بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الأعمال وروى ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة
في المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة حديث ابن
عباس صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة
وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بجملته هكذا وأخرجه ابن ماجه
من حديث ميمونة بإسناد جيد في بيت المقدس ائتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف
صلاة في غيره ولابن ماجه من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة
وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة وليس في إسناده من ضعف وقال الذهبي إنه
منكر وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة
حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة من حديث أبي
هريرة وابن عمر وأبي سعيد وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يموت بالمدينة
فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة حديث من استطاع أن يموت
بالمدينة فليمت بها الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر قال الترمذي
حسن صحيح وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها
للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى
ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى حديث لا تشد الرحال إلا
إلى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد ذهب بعض
العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء
والصلحاء وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب والحديث إنما ورد في المساجد
وليس في معناها المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه
مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على
قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال
إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من
شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم
السلام فالمنع من ذلك في غاية الإحالة فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء في
معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء في الحياة من
المقاصد هذا في الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من
السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ما
هو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له
قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأي موضع رأيت فيه رفقا
فأقم واحمد الله تعالى حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأي موضع رأيت فيه رفقا
فأقم أخرجه أحمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف وفي الخبر من بورك له في
شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه حديث من
رزق في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه
أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بالجملة الأولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه
جهالة بلفظ إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له وقال أبو
نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت إلى أين يا أبا

عبد الله قال إلى بلد أملأ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخـرى بلغـني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قـال فقلت وتفعل هـذا يا أبا عبد الله فقـال نعم إذا سـمعت بـرخص في بلد فاقصـده فإنه أسـلم لـدينك وأقل لهمك وكـان يقـول هـذا زمـان سـوء لا يـؤمن فيه على الخاملين فكيفبالمشهورين هـذا زمـان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه أنه قال والله ما أدري أي البلاد أسكن فقيل له خراسـان فقـال مـذاهب مختلفة وآراه فاسدة قيل فالشام قال يشار إليك بالأصابع أراد الشهرة قيل فـالعراق قـال بلد الجبـابرة قيل مكة قـال مكة تـذيب الكيس والبـدن وقـال له رجل غـريب عـزمت على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصـيك بثلاث لا تصـلين في الصف الأول ولا تصـحبن قرشـيا ولا تظهرن صدقة وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله الـتزين والتصـنع الفصل الثـاني في شـروط وجـوب الحج وصـحة أركانه وواجباته ومحظوراته أما الشرائط فشرط صـحة الحج اثنـان الـوقت والإسـلام فيصح حج الصـبي ويحـرم بنفسه إن كـان ممـيزا ويحـرم عنه وليه إن كـان صـغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطـواف والسعي وغيره وأما الوقت فهو شوال وذو القعـدة وتسع من ذي الحجة إلى طلـوع الفجر من يوم النحر فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمـرة ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بـالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشـتغال عقيبه لاشـتغاله بأعمـال مـنى وأما شـروط وقوعه عن حجة الإسـلام فخمسة الإسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فـإن أحـرم الصـبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلـوع الفجر أجزأهما عن حجة الإسـلام لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمـرة عن فـرض الإسـلام إلا الـوقت وأما شـروط وقـوع الحج نفلا عن الحر البـالغ فهو بعد بـراءة ذمته عن حجة الإسلام فحج الإسلام متقـدم ثم القضـاء لمن أفسـده في حالة الوقـوف ثم النـذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه وأما شـروط لـزوم الحج فخمسة البلوغ والإسلام والعقل والحرية والاسـتطاعة ومن لزمه فـرض الحج لزمه فـرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيـارة أو تجـارة ولم يكن حطابا لزمه الإحـرام على قـول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج وأما الاستطاعة فنوعـان أحـدهما المباشـرة وذلك له أسـباب أما في نفسه فبالصحة وأما في الطريق فبأن تكون خصـبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عـدو قـاهر وأما في المـال فبـأن يجد نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه كـان له أهل أو لم يكن لأن مفارقة الـوطن شـديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هـذه المـدة وأن يملك ما يقضي به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة وأما النوع الثاني فاستطاعة المغضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فـراغ الأجـير عن حجة الإسـلام لنفسه ويكفي نفقة الـذهاب بزاملة في هـذا النـوع والابن إذا عـرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لأن الخدمة بالبـدن فيها شرف للولد وبـذل المـال فيه منة على الوالد ومن اسـتطاع لزمه الحج وله التـأخير ولكنه فيه على خطر فـإن تيسر له ولو في آخر عمـره سـقط عنه وإن مـات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصيا بترك الحج وكـان الحج في تركته يحج عنه وإن لم يـوص كسـائر ديونه وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة قبل حج النـاس ثم مـات لقي الله عز وجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعـالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الأمصار بضـرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وإبـراهيم النخعي ومجاهد وطـاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جـار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عبـاس يقـول من مـات ولم يـزك ولم يحج سـأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تـركت قـالالحج وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة الإحرام والطواف والسـعي بعـده والوقـوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف والواجبات المجبورة بالـدم ست الإحرام من الميقـات فمن تركه وجـاوز الميقـات محلا فعليه شـاة والـرمي فيه الـدم قولا واحدا وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف

الوداع فهذه الأربعة يجـبر تركها بالـدم على أحد القـولين وفي القـول الثـاني فيها دم على وجه الاسـتحباب وأما وجـوه أداء الحج والعمـرة فثلاثة الأول الإفـراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فـإذا فـرغ خـرج إلى الحل فـأحرم واعتمر وأفضل الحل لإحـرام العمـرة الجعرانة ثم التنعيهم ثم الحديبية وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع الثاني القران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما ينـدرج الوضـوء تحت الغسل إلا أنه إذا طـاف وسـعى قبل الوقـوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط الطـواف الفـرض في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القـارن دم شـاة إلا أن يكـون مكيا فلا شـيء عليه لأنه لم يـترك ميقاته إذ ميقاته مكة الثـالث التمتع وهو أن يجـاوز الميقـات محرما بعمـرة ويتحلل بمكة ويتمتع بـالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحــرم بــالحج ولا يكــون متمتعا إلا بخمس شـرائط أحـدها أن لا يكـون من حاضـري المسـجدد الحـرام وحاضـره من كـان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة الثاني أن يقدم العمرة على الحج الثـالث أن تكـون عمرته في أشهر الحج الرابع أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحـرام الحج الخـامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فإذا وجدت هـذه الأوصـاف كـان متمتعا ولزمه دم شاة فإن لم يجد فصـيام ثلاثة أيـام في الحج قبل يـوم النحر متفرقة أو متتابعة وسـبعة إذا رجع إلى الوطن وإن لم يصم الثلاثة حـتى رجع إلى الـوطن صـام العشـرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الإفـراد ثم التمتع ثم القـرن وأما محظـورات الحج والعمرة فستة الأول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس إزارا ورداء ونعلين فإن لم يجد نعلين فمكعـبين فـإن لم يجد إزارا فسـراويل ولا بـأس بالمنطقة والاستظلال في المحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فـإن إحرامه في الـرأس وللمـرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تســـتر وجهها بما يماسه فـــإن إحرامها في وجهها الثــــاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فإن تطيب أو لبس فعليه دم شـاة الثـالث الحلق والقلم وفيهما الفدية أعـني دم شـاة ولا بـأس بالكحل ودخـول الحمـام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وإن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه والخامس مقـدمات الجمـاع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكـذا في الاسـتمناء ويحـرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينعقد السادس قتل صيد الـبر أعـني ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحـرام فـإن قتل صـيدا فعليه مثله من النعم يـراعى فيه التقـارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه الباب الثاني في تـرتيب الأعمـال الظـاهرة من أول السـفر إلى الرجوع وهي عشر جمل الجملة الأولى في السير من أول الخـروج إلى الإحـرام وهي ثمانية الأولى في المال فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضـاء الـديون وإعـداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجـوع ويـرد ما عنـده من الودائع ويستصـحب من المـال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غيرتقتــــير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضـعفاء والفقـراء ويتصـدق بشـيء قبل خروجه ويشـتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضـعف أو يكتريها فـإن اكـترى فليظهر للمكـاري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثــير ويحصل رضـــاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي أن يلتمس رفيقا صـــالحا محبا للخير معينا عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شـجعه وإن عجز قـواه وإن ضـاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فـإن الله تعـالى جاعل في أدعيتهم خـيرا والسـنة في الـوداع أن يقـول أسـتودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك حديث أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك أخرجه الترمـذي وصـححه والنسـائي من حـديث ابن عمر أنه كـان يقـول للرجل إذا أراد سـفرا ادن حـتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا وكان صـلى الله عليه وسـلم يقـول لمن أراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخـير أينما كنت حـديث كان صلى الله عليه وسـلم يقـول لمن أراد سـفرا في حفظ الله وكنفه زودك الله التقـوى وغفر الله ذنبك ووجهك للخير أينما تـوجهت أخرجه الطـبراني في الـدعاء من حـديث أنس وهو عند الترمــذي وحســنه دون قوله في حفظ الله وكنفه الثالثة في الخــروج من الــدار

ينبغي إذا هم بـــالخروج أن يصـــلي ركعـــتين أولا يقـــرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صـــادقة وقـــال اللهم أنت الصـــاحب في الســـفر وأنت الخليفة في الأهل والمـــال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم إنا نسألك أن تطوي لنا الأرض وتهـون علينا السـفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيـارة قـبر نبيك محمد صـلى الله عليه وسـلم اللهم إنا نعـوذ بك من وعثـاء السـفر وكآبة المنظر وسـوء المنقلب في الأهل والمال والولد والأصحاب اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإيـاهم نعمتك ولا تغـير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة إذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حـول ولا قـوة إلا بالله أعـوذ بالله رب أعـوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي اللهم إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضـاء فرضك واتبـاع سـنة نبيك وشـوقا إلى لقائك فإذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك تـوكلت وبك اعتصـمت وإليك تـوجهت اللهم أنت ثقـتي وأنت رجـائي فـاكفني ما أهمـني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مـني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودني التقـوى واغفر لي ذنـبي ووجهـني للخـير أينما تـوجهت ويـدعو بهـذا الـدعاء في كل مـنزل يـدخل عليه الخامسة في الركـوب فـإذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حـول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقـــرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمـري كله إليك وتـوكلت في جميع أموري عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فإذا اسـتوى على الراحلة واسـتوت تحته قـال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مـرات وقـال الحمد لله الـذي هـدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هـدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المسـتعان على الأمور السادسة في النزول والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سـيره بالليل قـال صـلى الله عليه وسـلم عليكم بالدلجة فـإن الأرض تطـوى بالليل ما لا تطـوى بالنهـار حـديث عليكم بالدلجة فـإن الأرض تطـوى بالليل ما لا تطـوى بالنهـار أخرجه أبو داود من حـديث أنس دون قوله ما لا تطـوى بالنهـار وهـذه الزيـادة في الموطأ من حـديث خالد بن معـدان مرسلا وليقلل نومه بالليل حـتى يكونعونا على السـير ومهما أشـرف على المـنزل فليقل اللهم رب الســـموات الســـبع وما أظللن ورب الأرضـــين الســـبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المـنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصـرف عـني شر شـرارهم فـإذا نـزل المـنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجـاوزهن بر ولا فـاجر من شر ما خلق فـإذا جن عليه الليل يقـول يا أرض ربي وربك الله أعـوذ بالله من شـرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقـرب ومن شر سـاكن البلد ووالد وما ولد وله ما ســـكن في الليل والنهـــار وهو الســـميع العليم الســـابعة في الحراسة ينبغي أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خـارج القافلة لأنه ربما يغتـال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فإن نام في ابتـداء الليل افـترش ذراعه وإن نـام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكـذا كـان ينـام رسـول الله صـلى الله عليه وسلم في سفره حديث كـان إذا نـام في أول الليل افـترش ذراعه وإذا نـام في آخر الليل نصب ذراعه نصـبا وجعل ذراعه في كفه أخرجه أحمد والترمـذي في الشـمائل من حـديث أبي قتادة بإسناد صحيح وعـزاه أبو مسـعود الدمشـقي والحميـدي إلى مسـلم ولم أره فيه لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والأحب في الليل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فإن نام أحـدهما حـرس الآخر حديث تناوب الرفيقين في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر أخرجه البيهقي من طريق ابن إسحاق من حديث جابر في حـديث فيه فقـال الأنصـاري أي الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال بل اكفني أوله فاضطجع المهـاجري الحـديث والحـديث عند أبي داود ولكن ليس فيه قول الأنصاري للمهاجرين فهو السنة فإن قصده عدو أو سـبع في ليل

أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والإخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بـالخير إلا الله ما شـاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى سـمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا ورسـلي إن الله قـوي عزيز تحصـنت بالله العظيم واسـتغثت بالحي الذي لا يمـوت اللهم احرسـنا بعينك الـتي لا تنـام واكنفنا بركنك الـذي لا يـرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلـوب عبـادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الـــراحمين الثامنة مهما علا نشــــزا من الأرض في الطريق فيسـتحب أن يكـبر ثلاثا ثم يقـول اللهم لك الشـرف على كل شـرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خـاف الوحشة في سـفره قـال سـبحان الله الملك القـدوس رب الملائكة والـروح جللت السـموات بـالعزة والجـبروت الجملة الثانية في آداب الإحـرام من الميقات إلى دخـول مكة وهي خمسة الأول أن يغتسل وينـوي به غسل الإحـرام أعـني إذا انتهى إلى الميقات المشهور الـذي يحـرم النـاس منه ويتمم غسـله بـالتنظيف ويسـرح لحيته ورأسه ويقلم أظفـاره ويقص شـاربه ويسـتكمل النظافة الـتي ذكرناها في الطهـارة الثـاني أن يفـارق الثيـاب المخيطة ويلبس ثـوبي الإحـرام فيرتـدي ويـتزر بثـوبين أبيضـين فـالأبيض هو أحب الثيـاب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بـأس بطيب يبقى جرمه بعد الإحرام فقد رؤي بعض المسك على مفـرق رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بعد الإحرام مما كان استعمله قبل الإحرام حـديث رؤية وبيص المسك على مفـرق رسـول الله صلى الله عليه وسلم بعد الإحرام متفق عليه من حديث عائشة قـالت كأنما أنظر إلى وبيص المسك الحديث الثالث أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا أو يبدأ بالسير إن كـان راجلا فعند ذلك ينـوي الإحـرام بـالحج أو بالعمرةقرانا أو إفـرادا كما أراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الإحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وإن زاد قـال لبيك وسعديك والخير كله بيـديك والرغبـاء إليك لبيك بحجة حقا تعبـدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع إذا انعقد إحرامه بالتلبية المـذكورة فيسـتحب أن يقـول اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلني من وفـدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم فيسر لي أداء ما نويت من الحج اللهم قد أحـرم لك لحمي وشـعري ودمي وعصـبي ومخي وعظـامي وحـرمت على نفسي النسـاء والطيب ولبس المخيط ابتغـــاء وجهك والـــدار الآخـــرة ومن وقت الإحـــرام حـــرم عليه المحظـورات السـتة الـتي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخـامس يسـتحب تجديد التلبية في دوام الإحرام خصوصا عند اصطدام الرفـاق وعند اجتمـاع النـاس وعند كل صـعود وهبـوط وعند كل ركـوب ونـزول رافعا بها صـوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فإنه لا ينـادي أصم ولا غائبا حـديث إنكم لا تنـادون أصم ولا غائبا متفق عليه من حـديث أبي موسى كما ورد في الخـــبر ولا بـــأس برفع الصـــوت بالتلبية في المســـاجد الثلاثة فإنها مظنة المناسك أعـــني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم إذا أعجبه شيء قـال لبيك إن العيش عيش الآخرة حديث كان إذا أعجبه شيء قال لبيك إن العيش عيش الآخرة أخرجه الشـافعي في المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عبـاس أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم وقف بعرفـات فلما قـال لبيك اللهم لبيك قـال إنما الخـير خـير الآخرة الجملة الثالثة في آداب دخـول مكة إلى الطـواف وهي سـتة الأول أن يغتسل بـذي طوى لـدخول مكة والاغتسـالات المسـتحبة المسـنونة في الحج تسـعة الأول للإحـرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغســال لــرمي الجمــار الثلاث ولا غسل لــرمي جمــرة العقبة ثم لطــواف الــوداع ولم ير الشـافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطـواف الزيـارة ولطـواف الـوداع فتعـود إلى سلعة الثاني أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هــذا حرمك وأمنك فحــرم لحمي ودمي وشـعري وبشــري على النــار وآمــني من عــذابك يــوم تبعث عبــادك

واجعلـني من أوليائك وأهل طاعتك الثـالث أن يـدخل مكة من جـانب الأبطح وهو ثنية كـدا بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسـلم من جـادة الطريق إليها حـديث دخـول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قـال كـان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم إذا دخل مكة دخل من الثنية العليـاء الـتي بالبطحاء الحديث فالتأسي به أولى وإذا خـرج خـرج من ثنية كـدى بضم الكـاف وهي الثنية السـفلى والأولى هي العليا الرابع إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الـردم فعنـده يقع بصـره على الــبيت فليقل لا إله إلا الله والله أكــبر اللهم أنت الســلام ومنك الســلام ودارك دار السـلام تبـاركت يا ذا الجلال والإكـرام اللهم إن هـذا بيتك عظمته وكرمته وشـرفته اللهم فــزده تعظيما وزده تشــريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه بــرا وكرامة اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلـني جنتك وأعـذني من الشـيطان الـرجيم الخـامس إذا دخل المسـجد الحرام فليدخل من باب بـني شـيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله وإلى وفي سـبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فـإذا قـرب من الـبيت قـال الحمد لله وسـلام على عبـاده الـذين اصـطفى اللهمصل على محمد عبـدك ورسـولك وعلى إبـراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم إني أسـألك في مقـامي هـذا في أول مناسكي أن تتقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغــني بيته الحرام الذي جعله مثابة للنـاس وأمنا وجعله مباركا وهـدى للعـالمين اللهم إني عبـدك والبلد بلـدك والحـرم حرمك والـبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسـألك مسـألة المضـطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطـالب مرضـاتك السـادس أن تقصد الحجر الأسـود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمـنى وتقبله وتقـول اللهم أمـانتي أديتها وميثـاقي وفيته اشـهد لي بالموافاة فإن لم يستطيع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطــواف وهو طــواف القــدوم إلا أن يجد النـاس في المكتوبة فيصــلي معهم ثم يطــوف الجملة الرابعة في الطـواف فـإذا أراد افتتـاح الطـواف إما للقـدوم وإما لغـيره فينبغي أن يراعي أمورا ستة الأول أن يراعي شروط الصـلاة من طهـارة الحـدث والخبث في الثـوب والبدن والمكان وستر العـورة فـالطواف بـالبيت صـلاة ولكن الله سـبحانه أبـاح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطـواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمـنى ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخى طرفا وراء ظهـره وطرفا على صـدره ويقطع التلبية عند ابتـداء الطواف ويشتغل بالأدعية التي سنذكرها الثاني إذا فرغ من الاضـطباع فليجعل الـبيت على يسـاره وليقف عند الحجر الأسـود وليتنح عنه قليلا ليكـون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قـدر ثلاث خطـوات ليكـون قريبا من البيت فإنه أفضل ولكيلا يكـون طائفا على الشـاذروان فإنه من الـبيت وعند الحجر الأسـود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار الـبيت بعد أن ضـيق أعلى الجـدار ثم من هـذا الموقف يبتدىء الطواف الثالث أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتـداء الطـواف بسم الله والله أكبر اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطـوف فـأول ما يجـاوز الحجر ينتهي إلى بـاب الـبيت فيقـول اللهم هـذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهـذا الأمن أمنك وهـذا مقـام العائذ بك من النـار وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كـريم وأنت أرحم الراحمين فأعـذني من النـار ومن الشـيطان الـرجيم وحـرم لحمي ودمي على النـار وآمني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العـراقي فعنـده يقـول اللهم إني أعـوذ بك من الشـرك الشك والكفر والنفـاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر في الأهل والمال والولد فإذا بلغ الميزاب قال اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم اسقني بكـأس محمد صـلى الله عليه وسـلم شـربة لا أظمأ بعـدها أبـدا فـإذا بلغ الـركن الشـامي قـال اللهم اجعله حجا مـبرورا وسـعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبـور يا عزيز يا غفـور رب اغفر وارحم وتجـاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فإذا بلغ الركن اليماني قال اللهم إني أعـوذ بك من الكفر وأعـوذ بك من الفقر ومن عـذاب القـبر ومن فتنة المحيا والممـات وأعـوذ بك من الخـزي في الـدنيا

والآخـرة ويقـول بين الـركن اليمـاني والحجر الآسـود اللهم ربنا آتنا في الـدنيا حسـنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فإذا بلغ الحجر الأسـود قـال اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعـذاب القـبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيـدعو بهـذه الأدعية في كل شـوط الرابع أن يرمل في ثلاثة أشـواط ويمشي في الأربعة الأخـرعلى الهيئة المعتـادة ومعـنى الرمل الإسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكـذا كـان القصد أولا قطعا لطمع الكفـار وبقيت تلك السـنة حـديث مشـروعية الرمل والاضـطباع قطعا لطمع الكفـار وبقيت تلك السنة أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قـدم رسـول الله صـلى الله عليه وسلم وأصـحابه فقـال المشـركون إنه يقـدم عليكم قـوم قد وهنتهم حمى يـثرب فـأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشـواط الثلاثة الحـديث وأما الاضـطباع فـروى أبو داود وابن ماجه والحـاكم وصـححه من حـديث عمر قـال فيم الـرملان الآن والكشف عن المنـاكب وقد أظهر الله الإسـلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا نـدع شـيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأفضل الرمل مع الـدنو من الـبيت فـإن لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فيخـرج إلى حاشـية المطـاف وليرمل ثلاثا ثم ليقـرب إلى البيت في المـزدحم وليمش أربعا وأن إمكنه اسـتلام الحجر في كل شـوط فهو الأحب وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من سائر الأركـان وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني حديث اسـتلامه صـلى الله عليه وسلم للركن اليماني متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكة إذا استلم الركن الأسود الحـديث ولهما من حديثه لم أر رسـول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى إذا أتيت الـبيت معه اسـتلم الركن ويقبله حـديث تقبيله صـلى الله عليه وسـلم له متفق عليه من حـديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك وللبخـاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله في التـاريخ من حديث ابن عباس كان النـبي صـلى الله عليه وسـلم إذا اسـتلم الـركن اليمـاني قبله ويضع خده عليه حديث وضع الخد عليه أخرجه الدارقطني من حـديث ابن عبـاس أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني الحديث قال الحاكم صحيح الإسـناد قلت فيه عبد الله بن مسـلم بن هرمز ضـعفه الجمهـور ومن أراد تخصـيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الـركن اليمـاني على الاسـتلام أغـنى عن اللمس باليد فهو أولى الخـامس إذا تم الطـواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والبـاب وهو موضع اسـتجابة الـدعوة وليلـتزق بـالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب الـبيت العـتيق أعتق رقبـتي من النـار وأعـذني من الشـيطان الـرجيم وأعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبـارك لي فيما آتيتـني اللهم إن هـذا الـبيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من أكـرم وفـدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله صـلى الله عليه وسـلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقـول لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي السادس إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصـلي خلف المقـــام ركعـــتين يقـــرأ في الأولى قل يا أيها الكـــافرون وفي الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف قـال الزهـري مضت السـنة أن يصـلي لكل سـبع ركعـتين حـديث الزهـري مضت السنة أن يصـلي لكل أسـبوع ركعـتين ذكـره البخـاري تعليقا السـنة أفضل لم يطف النـبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعـتين وفي الصـحيحين من حـديث ابن عمر قـدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطـاف بـالبيت سـبعا وصـلى خلف المقـام ركعـتين وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جـاز حـديث قرانه صـلى الله عليه وسـلم بين أسـابيع رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قـرن ثلاثة أطـواف ليس بينهما صلاة ورواه العقيلي في الضعفاء وابن شاهين في أماليه من حديث أبي هريرة وزاد

ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفي إسنادهما عبد السلام بن أبي الحبوب منكر الحديث فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى واعصمني بألطافك حتى لا أعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني إلى الإسلام فثبتني عليه بألطافك وولايتك واستعملني لطاعتك وطاعة رسولك وأجرني من مضلاتالفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ابن ماجه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقي في الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة وهذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يبتدىء بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات الجملة الخامسة في السعي فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة حديث أنه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة أخرجه مسلم من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتى نزل إلى البيت وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون اللهم إني أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدىء السعي وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينه حتى ينتهى إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فإذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي إلى الميلين الأخضرين ثم يعود إلى الهينة فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف وإذا سعى فينبغي أن لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فإنه ليس من شروط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كانالجملة السادسة في الوقوف وما

قبله الحــاج إذا انتهى يــوم عرفة إلى عرفــات يتفــرغ لطــواف القــدوم ودخــول مكة قبل الوقوف وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليــوم الســابع من ذي الحجة فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويــأمر النــاس بالاســتعداد للخروج إلى منى يــوم التروية والمــبيت بها وبالغــدو منها إلى عرفة لإقامة فــرض الوقــوف بعد الزوال إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي أن يخرج إلى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك إلى انقضاء حجته إن قــدر عليه والمشي من مســجد إبــراهيم عليه الســلام إلى الموقف أفضل وآكد فــإذا انتهى إلى منى قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هــذه الليلة بمــنى وهو مــبيت مــنزل لا يتعلق به نسك فــإذا أصبح يــوم عرفة صــلى الصــبح فــإذا طلعت الشمس على ثبــير ســار إلى عرفــات ويقــول اللهم اجعلها خــير غــدوة غــدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم إليك غدوت وإياك رجــوت وعليك اعتمــدت ووجهك أردت فــاجعلني ممن تبــاهي به اليــوم من هو خــير مــني وأفضل فــإذا أتى عرفــات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة أخرجه مسلم من حــديث جــابر الطويل أمر بقبة من شعر تضــرب له بنمــرة الحــديث ونمــرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمــام خطبة وجــيزة وقعد وأخذ المــؤذن في المؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفــرغ الإمــام مع تمــام إقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين وقصر الصــلاة وراح إلى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة وأما مســجد إبــراهيم عليه الســلام فصــدره في الــوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صــدر المســجد لم يحصل له الوقــوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من أنواع التحميد والتســبيح والتهليل والثنــاء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يــوم عرفة بل الأحب أن يلــبي تــارة ويكب على الــدعاء أخــرى وينبغي أن لا ينفصل من طــرف عرفة إلا بعد الغــروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهــار وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكــان الغلط في الهلال فهو الحــزم وبه الأمن من الفــوات ومن فاته الوقــوف حــتى طلع الفجر يــوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمــال العمــرة ثم يريق دما لأجل الفــوات ثم يقضي العــام الآتي وليكن أهم اشــتغاله في هــذا اليــوم الــدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع تــرجى إجابة الــدعوات والــدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث الدعاء المأثور في يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شــريك له الحــديث أخرجه الترمــذي من رواية عمــرو بن شــعيب عن أبيه عن جده أن النبي صــلى الله عليه وســلم قــال خــير الــدعاء دعــاء يــوم عرفة وخــير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال حسن غريب وله من حديث علي قال أكثر ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي تقول وخــيرا مما نقــول لك صــلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ولك رب تراثي اللهم إني أعــوذ بك من شر ما تجيء به الريح وقال ليس بالقوي إسناده وروى المســتغفري في الــدعوات من حديثه يا علي إن أكــثر دعــاء من قبلي يــوم عرفة أن أقــول لا إله إلا الله وحــده لا شــريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في صدري نورا وفي ســمعي نــورا وفي قلــبي نــورا اللهم اشــرح لي صــدري ويسر لي أمــري اللهم إني أعــوذ بك من وســواس الصــدر وشــتات الأمر وفتنة القــبر وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهــار وشر ما تهب به الريــاح ومن شر بوائق الــدهر وإســناده ضــعيف وروى الطــبراني في المعجم الصــغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي وتعلم ســري وعلانيــتي ولا يخفى عليك شــيء من أمــري أنا البائس الفقير فذكر الحديث إلى قوله يا خير المسئولين ويا خير المعطين وإسناده ضعيف وباقي الــدعاء من دعــاء بعض الســلف في بعضه ما هو مرفــوع ولكن ليس مقيــدا بموقف

عرفة وعن السلففي يوم عرفة أول ما يدعو به فليقل لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي لسـاني نـورا اللهم اشـرح لي صدري ويسر لي أمـري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقـول وخـيرا مما نقـول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي وإليك ثوابي اللهم إني أعـوذ بك من وسـاوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهـار ومن شر ما تهب به الريـاح ومن شر بوائق الـدهر اللهم إني أعـوذ بك من تحـول عافيتك وفجـأة نقمتك وجميع سـخطك اللهم اهـدني بالهـدى واغفر لي في الآخـرة والأولى يا خير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مسئول ما لديه أعطـني العشـية أفضل ما أعطيت أحـدا من خلقك وحجـاج بيتك يا أرحم الـراحمين اللهم يا رفيع الـدرجات ومـنزل البركات ويا فاطر الأرضـين والسـموات ضجت إليك الأصـوات بصـنوف اللغـات يسـألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار البلاء إذا نسـيني أهل الـدنيا اللهم إنك تسـمع كلامي وتـرى مكـاني وتعلم سـري وعلانيـتي ولا يخفى عليك شـيء من أمـري أنا البـائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنه أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهـال المـذنب الـذليل وأدعـوك دعـاء الخـائف الضـرير دعـاء من خضـعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلـني بـدعائك رب شـقيا وكن بي رءوفا رحيما يا خـير المسـئولين وأكـرم المعطين إلهي من مـدح لك نفسه فـإني لائم نفسي إلهي أخرست المعاصي لسـاني فما لي وسـيلة عن عمل ولا شـفيع سـوى الأمل إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عنـدك جاها ولا للاعتـذار وجها ولكنك أكـرم الأكـرمين إلهي إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فـإن رحمتك أهل أن تبلغـني ورحمتك وسـعت كل شيء وأنا شيء إلهي إن ذنـوبي وإن كـانت عظاما ولكنها صـغار في جنب عفـوك فاغفرها لي يا كريم إلهي أنت أنت وأنا أنا العواد إلى الذنوب وأنت العواد إلى المغفـرة إلهي إن كنت لا تـرحم إلا أهل طاعتك فـإلى من يفـزع المـذنبون إلهي تجنبت عن طاعتك عمـدا وتوجهت إلى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علي وأكرم عفـوك عـني فبوجـوب حجتك علي وانقطاع حجتي عنك وفقري إليك وغناك عـني إلا غفـرت لي يا خـير من دعـاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الإسلام وبذمة محمد صـلى الله عليه وسـلم أتوسل إليك فـاغفر لي جميع ذنـوبي واصـرفني من مـوقفي هـذا مقضي الحـوائج وهب لي ما سـألت وحقق رجـائي فيما تمـنيت إلهي دعوتك بالـدعاء الـذي علمتنيه فلا تحرمـني الرجـاء الـذي عرفتنيه إلهي ما أنت صـانع العشـية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مسـتكين بجرمه متضرع إليك من عمله تائب إليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل إليك في العفو عنه طـالب إليك نجـاح حوائجه راج إليك في موقفه مع كـثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفـوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا وما عنـدك طلبنا ولإحسـانك تعرضـنا ورحمتك رجونا ومن عـذابك أشـفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يـؤتى ولا حـاجب يرشى يا من لا يـزداد على كـثرة السـؤال إلا جـودا وكرما وعلى كـثرة الحـوائج إلا تفضلا وإحسـانا اللهم إنك جعلت لكل ضـيف قـرى ونحن أضـيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم إن لكل وفد جـائزة ولكل زائر كرامة ولكل سـائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لم عنـدك جـزاء ولكلمسـترحم عنـدك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ولكل متوسل إليك عفوا وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشـهدنا هـذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا إلهنا تـابعت النعم حـتى اطمـأنت الأنفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حـتى نطقت الصـوامت بحجتك وظـاهرت المنن حـتى اعـترف أولياؤك بالتقصـير عن حقك وأظهـرت الآيـات حـتى أفصـحت السـموات والأرضـون بأدلتك وقهرت بقـدرتك حـتى خضع كل شـيء لعزتك وعنت الوجـوه لعظمتك إذا أسـاءت عبـادك حلمت وأمهلت وإن أحسنوا تفضلت وقبلت وإن عصوا سترت وإن أذنبـوا عفـوت وغفـرت وإذا دعونا أجبت وإذا نادينا سـمعت وإذا أقبلنا إليك قـربت وإذا ولينا عنك دعـوت إلهنا إنك

قلت في كتابك المـبين لمحمد خـاتم النبـيين قل للـذين كفـروا إن ينتهـوا يغفر لهم ما قد سـلف فأرضـاك عنهم بـالإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحـود وإنا نشـهد لك بالتوحيد مخبـتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فـاغفر لنا بهـذه الشـهادة سـوالف الإجـرام ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل في الإسـلام إلهنا إنك أحببت التقـرب إليك بعتق ما ملكت أيماننا ونحن عبيــــدك وأنت أولى بالتفضل فاعتقنا وإنك أمرتنا أن نتصــــدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصـدق علينا ووصـيتنا بـالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسـنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السـلام وهو أن يقـول يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصـوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه إلحاح الملحين ولا تضجره مسألة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بدا له وليسـتغفر له ولوالديه ولجميع المؤمـنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسألة فإن الله لا يتعاظمه شيء وقـال مطـرف بن عبد الله هو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من أجلي وقـال بكر المـزني قـال رجل لما نظـرت إلى أهل عرفــات ظننت أنهم قد غفر لهم لـــولا أني كنت فيهم الجملة الســـابعة في بقية أعمـال الحج بعد الوقـوف من المـبيت والـرمي والنحر والحلق والطـواف فـإذا أفـاض من عرفة بعد غروب الشـمس فينبغي أن يكـون على السـكينة والوقـار وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الإبل كما يعتاده بعض الناس فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطـأوا ضـعيفا ولا تـؤذوا مسـلما حـديث نهى النـبي عن وجيف الخيل وإيضـاع الإبل أخرجه النسـائي والحـاكم وصـححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الإبل وقال الحــاكم ليس البر بإيجاف الخيل والإبل وللبخاري من حديث ابن عباس فإن البر ليس بالإيضاع فإذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لأن المزدلفة من الحــــرم فليدخله بغسل وإن قــــدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فـإذا بلغ المزدلفة قــال اللهم إن هــذه مزدلفة جمعت فيها ألسـنة مختلفة تسـألك حـوائج مؤتنفة فـاجعلني ممن دعـاك فاسـتجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغـرب والعشـاء بمزدلفة في وقت العشـاء قاصـرا له بـأذان وإقـامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغـرب والعشـاء والـوتر بعد الفريضـتين ويبـدأ بنافلة المغـرب ثم بنافلة العشـاء كما في الفريضتين فإن ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف إيقاعها في الأوقات إضـرار وقطع للتبعية بينهما وبين الفـرائض فـإذا جـاز أن يـؤدي النوافل مع الفـرائض بـتيمم واحد بحكم التبعية فبـأن يجـوز أداؤهما على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من هـذا مفارقة النفل للفـــرض في جـــواز أدائه على الراحلة لما أو مأنا إليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلةبمزدلفة وهو مـــبيت نسك ومن خـــرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم وإحياء هـذه الليلة الشـريفة من محاسن القربـات لمن يقـدر عليه ثم إذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فإنها قـدر الحاجة ولا بـأس بـأن يسـتظهر بزيـادة فربما يسـقط منه بعضـها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوي عليه أطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في المسير حـتى إذا انتهى إلى المشعر الحـرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويـدعو إلى الإسـفار ويقـول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشـهر الحـرام والـركن والمقـام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام ثم يدفع منها قبل طلـوع الشـمس حتى ينتهي إلى موضع يقال له وادي محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عـرض الوادي وإن كان راجلا أسرع في المشي ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر أخرى فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجـاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي إلى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سـفح الجبل وهو ظـاهر بمواقع الجمـرات ويـرمي جمـرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا القبلة وإن اسـتقبل الجمـرة فلا بأس ويرمي سبع حصـيات رافعا يـده ويبـدل التلبية بـالتكبير ويقـول مع كل حصـاة الله

أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فـإذا رمى قطع التلبية والتكبـير إلا التكبـير عقيب فـرائض الصـلوات من ظهر يـوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيـام التشـريق ولا يقف في هـذا اليـوم للـدعاء بل يـدعو في منزله وصـفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكـبر الله أكـبر كبـيرا والحمد لله كثـيرا وسـبحان الله بكـرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كـره الكـافرون لا إله إلا الله وحده صـدق وعـده ونصر عبـده وهـزم الأحـزاب وحـده لا إله إلا الله والله أكـبر ثم ليـذبح الهـدي إن كـان معه والأولى أن يـذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكـبر اللهم منك وبك وإليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم خـير الأضـحية الكبش الأقـرن والبيضـاء أفضل من الغـبراء والسـوداء حـديث خـير الأضـحية الكبش أخرجه أبو داود من حـديث عبـادة بن الصـامت والترمذي من حديث أبي أمامة قال الترمذي غريب وعفـير يضـعف في الحـديث وقـال أبو هريرة البيضاء أفضل في الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت من هدي التطـوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقـاء والمقابلة والمـدابرة والعجفاء والجدع في الأنف والأذن للقطع منهما والعضب في القرن وفي نقصـان القـوائم والشـرقاء المشـقوقة الأذن من فـوق والخرقـاء من أسـفل والمقابلة المخروقة في الأذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقى أي لا مخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يسـتقبل القبلة ويبتـدىء بمقـدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقي ويقول اللهم أثبت لي بكل شـعرة حسـنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمـرأة تقصر الشـعر والأصـلع يسـتحب له إمـرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمي الجمـرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طـواف ركن في الحج ويسـمى طـواف الزيـارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شـاء ولكن يبقى مقيـدا بعلقة الإحرام فلا تحل له النساء إلى أن يطوف فإذا طـاف تم التحلل وحل الجمـاع وارتفع الإحرام بالكلية ولم يبقإلا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحق وكيفية هـذا الطـواف مع الركعـتين كما سـبق في طـواف القـدوم فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كـان قد سـعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي أن يعيد السـعي وأسـباب التحلل ثلاثة الـرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من هـذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حـرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الأحسن أن يـرمى ثم يـذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للإمام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج أربع خطب خطبة يـوم السـابع وخطبة يـوم عرفة وخطبة يـوم النحر حـديث الخطبة يـوم النحر وهي خطبة وداع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أخرجه البخاري من حديث أبي بكـرة خطبنا رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يـوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقمة البخـاري ووصـله ابن ماجه من حديث ابن عمر وقف النبي صـلى الله عليه وسـلم يـوم النحر بين الجمـرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الـوداع وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها إفراد إلا خطبة يـوم عرفة فإنها خطبتـان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمـنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فـإذا أصـبح اليـوم الثـاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي إليها بسبع حصيات فإذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمـرة الوسـطى ويـرمي كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعـرج

على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك حديث زيارة البيت في ليالي منى والمبيت بمنى أخرجه أبو داود في المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد ولأبي داود من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالي أيام التشريق ولا يتركن حضور الفرائض مع الإمام في مسجد الخيف فإن فضله عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة أخرجه البخاري من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث فهو السنة رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الإحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي اللهعنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فإذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له حديث ماء زمزم لما شرب له أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه الدار قطني والحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجلارودي قال ابن القطان سلم منه فإن الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزي أي يشفى ما قصد به الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا ما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك أبدا ما أبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها قال صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي اخرجه الطبراني والدار قطني من حديث ابن عمر وقال صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم

يفد إلي فقد جفاني حديث من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني أخرجه ابن عدي والــدار قطني في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك في حـديث ابن عمر من حج ولم يـزرني فقد جفـاني وذكـره ابن الجـوزي في الموضـوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يـزرني فليس له عذر وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيـارتي كـان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا حديث من جاءني زائرا لا تهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم في طريقه كثـيرا فـإذا وقع بصـره على حيطـان المدينة وأشـجاره قـال اللهم هـذا حـرم رسـولك فاجعله لي وقاية من النـار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الـدخول من بـئر الحـرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فـإذا دخلها فليدخلهامتواضـعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم رب أدخلـني مـدخل صـدق وأخرجـني مخـرج صـدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنـبر ركعـتين ويجعل عمـود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الـدائرة الـتي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قبل أن يغـير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد الأول قبل أن يـزاد فيه ثم يـأتي قـبر النـبي صـلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويسـتقبل جـدار القـبر على نحو من أربعة أذرع من السارية الـتي في زاوية جـدار القـبر ويجعل القنـديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحـترام فيقف ويقـول السـلام عليك يا رسـول الله السـلام عليك يا نـبي الله السـلام عليك يا أمين الله السـلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صـفوة الله السـلام عليك يا خـيرة الله السـلام عليك يا أحمد السـلام السـلام عليك يا محمد السـلام عليك يا أبا القاسم السـلام عليك يا مـاحي السلام عليك يا عاقب السـلام عليك يا حاشر السـلام عليك يا بشـير السـلام عليك يا نـذير السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السـلام عليك يا أكـرم ولد آدم السـلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسـول رب العـالمين السـلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السـلام عليك يا نـبي الرحمة السـلام عليك يا هادي الأمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهـيرا السـلام عليك وعلى أصـحابك الطيـبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جـزى نبيا عن قومه ورسـولا عن أمته وصـلى عليك كلما ذكـرك الـذاكرون وكلما غفل عنك الغـافلون وصـلى عليك في الأولين والآخـــرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صـــلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصـرنا بك من العماية وهـدانا بك من الجهالة أشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبـده ورسـوله وأمينه وصـفيه وخيرته من خلقه وأشـهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عـدوك وهـديت أمتك وعبـدت ربك حـتى أتـاك اليقين فصـلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيـبين وسـلم وشـرف وكـرم وعظم وإن كـان قد أوصى بتبليغ سـلام فيقـول السـلام عليك من فلان السـلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه ثم يتـأخر قـدر ذراع ويسـلم على الفـاروق عمر رضي الله عنه ويقـول السـلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزىوزيري نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القـبر والاسـطوانة اليـوم ويسـتقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجـده وليكـثر من الصلاة على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ثم يقـول اللهم إنك قد قلت وقولك الحق ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجـدوا الله توابا رحيما اللهم إنا قد سـمعنا قولك وأطعنا أمـرك وقصـدنا نبيك متشـفعين به إليك في ذنوبنا

وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تـائبين من زللنا معـترفين بخطايانا وتقصـيرنا فتب اللهم علينا وشـفع نبيك هـذا فينا وارفعنا بمنزلته عنـدك وحقه عليك اللهم اغفر للمهـاجرين والأنصـار واغفر لنا ولإخواننا الـذين سـبقونا بالأيمـان اللهم لا تجعله آخر العهد من قـبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الـراحمين ثم يـأتي الروضة فيصـلى فيها ركعـتين ويكـثر من الـدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلمما بين قبري ومنـبري روضة من ريـاض الجنة ومنـبري على حوضي حـديث ما بين قـبري ومنـبري روضة من ريـاض الجنة ومنـبري على حوضي متفق عليه من حديث أبي هريـرة وعبد الله ابن زيد ويـدعو عند المنـبر ويسـتحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يضع يـده عليها عند الخطبة حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يـده عند الخطبة على رمانة المنـبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن ابن زبالة في تـاريخ المدينة أن طـول رمـانتي المنـبر اللـتين كـان يمسـكهما صـلى الله عليه وسـلم بيديه الكريمـتين إذا جلس شـبر وأصـبعان ويستحب له أن يأتي أحدا يوم الخميس ويـزور قبـور الشـهداء فيصـلي الغـداة في مسـجد النبي صلى الله عليه وسـلم ثم يخـرج ويعـود إلى المسـجد لصـلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب أن يخرج كل يـوم إلى البقيع بعد السـلام على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ويـزور قـبر عثمـان رضي الله عنه وقـبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه أيضا قـبر علي ابن الحسـين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر إبـراهيم ابن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وقـبر صـفية عمة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فـذلك كله بـالبقيع ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصـلي فيه لما روى أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حـتى يـأتي مسـجد قبـاء ويصـلي فيه كـان له عـدل عمرة حديث من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان عـدل عمـرة أخرجه النسائي وابن ماجه من حديث سـهل بن حـنيف بإسـناد صـحيح ويـأتي بـئر أريس يقـال إن النـبي صـلى الله عليه وسـلم تفل فيها وهي عند المسـجد فيتوضأ منها ويشـرب من مائها حديث إن النبي صلى الله عليه وسـلم تفل في بـئر أريس لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه تفل في بـئر البصة وبـئر غـرس كما سـيأتي عند ذكرها ويـأتي مسـجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد ويقـال إن جميع المشـاهد والمسـاجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبـار الـتي كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها حديث الآبـار الـتي كـان النـبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ ويغتسل ويشـرب منها وهي سـبعة آبـار قلت وهي بـئر أريس وبئر حا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضـاعة وبـئر البصة وبـئر السـقيا أو العهن أو بـئر جمل فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشـعري في حـديث فيه حـتى دخل بئر أريس قـال فجلست عند بابها وبابها من حديد حـتى قضى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه بئر حال وكانت مستقبلة المسـجد وكـان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحـديث وحـديث بـئر رومة رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان أنه قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـدم المدينة وليس بها مـاء يسـتعذب غـير بـئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحـديث قـال الترمـذي حـديث حسن وفي رواية لهما هل تعلمـون أن رومة لم يكن يشـرب منها أحد إلا بـالثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صـحيح وروى البغـوي والطـبراني من حديث بشير الأسلمي قال لما قدم المهـاجرون المدينة اسـتنكروا المـاء وكـانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكـان يـبيع منها القربة بمد الحـديث وحـديث بـئر غـرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال ائتوني بماء من بـئر غـرس فـإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يشـرب منها ويتوضأ ولابن ماجه بإسـناد جيد مرفوعا إذا أنا مت فاغسلوني بسـبع قـرب من بـئري بـئر غـرس وروينا في تـاريخ المدينة لابن النجـار بإسـناد ضـعيف مرسلا أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم توضأ منها وبـزق فيها وغسل منها

حين توفي وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حـديث أبي سـعيد الخـدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية أنه يستقى لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين إسناده جيد وقال الترمذي حسن وللطبراني من حديث أبي أسيد بصق النـبي صـلى الله عليه وسـلم في بـئر بضـاعة وروينـاه أيضا في تـاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سـعد وحـديث بـئر البصة رواه ابن عـدي من حـديث أبي سـعيد الخدري أن النبي صـلى الله عليه وسـلم جـاءه يوما فقـال هل عنـدكم من سـدر أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة قـال نعم فـأخرج له سـدرا وخـرج معه إلى البصة فغسل رسـول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومـراق شـعره في البصة وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بـئر السـقيا رواه أبو داود من حـديث عائشة أن النـبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد الـبزار في مسـنده أو من بـئر السقيا ولأحمد من حـديث علي خرجنا مع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم حـتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسـعد بن أبي وقـاص قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ائتـوني بوضوء فلما توضأ قام الحديث وأما بـئر جمل ففي الصـحيحين من حـديث أبي الجهم أقبل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم نحو بـئر جمل الحـديث وصـله البخـاري وعلقه مسـلم والمشهور أن الآثار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمي من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه صبوا علي سبع قرب من آبار شتى الحـديث وهو عند البخـاري دون قوله من آبار شتى وهي سـبع آبـار طلبا للشـفاءوتبركا به صـلى الله عليه وسـلم وإن أمكنه الأقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قـال صـلى الله عليه وسـلم لا يصبر علي لاوائها وشـدتها أحد إلا كنت له شـفيعا يـوم القيامة حـديث لا يصـبر على لأوائها وشـدتها أحد إلا كنت له شـفيعا يـوم القيامة تقـدم في البـاب قبله وقـال صـلى الله عليه وسلم من استطاع أن يمـوت بالمدينة فليمت فإنه لن يمـوت بها أحد إلا كنت له شـفيعا أو شـهيدا يـوم القيامة حـديث من اسـتطاع أن يمـوت بالمدينة فليمت بها الحـديث تقـدم في الباب قبله ثم إذا فـرغ من أشـغاله وعـزم على الخـروج من المدينة فالمسـتحب أن يـأتي القـبر الشـريف ويعيد دعـاء الزيـارة كما سـبق ويـودع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه ويسـأل السـلامة في سـفره ثم يصـلي ركعـتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قبل أن زيـدت المقصورة في المسجد فإذا خرج فليخـرج رجله اليسـرى أولا ثم اليمـنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزاري بزيارته وأصـحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي إلى أهلي ووطني سـالما يا ارحم الـراحمين وليتصـدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسـلم بما قـدر عليه وليتتبع المسـاجد الـتي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا فصل في سـنن الرجـوع من السـفر كـان رسـول الله صلى الله عليه وسـلم إذا قفل من غـزو أو حج أو عمـرة يكـبر على رأس كل شـرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامـدون صـدق الله وعـده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قفل من غـزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده في آخره في بعض الروايـات من قوله وكل شـيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعـون رواه المحاملي في الـدعاء بإسـناد جيد وفي بعض الروايـات وكل شـيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون فينبغي أن يستعمل هـذه السـنة في رجوعه وإذا أشـرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسـنا ثم ليرسل إلى أهله من يخـبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة حـديث إرسـال المسـافر إلى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة لم أجد فيه ذكر الإرسال وفي الصحيحين من حـديث جابر كنا مع رسول الله صـلى الله عليه وسـلم في غـزاة فلما قـدمنا المدينة ذهبنا لنـدخل فقالوا أمهلوا حتى ندخل ليلا أن عشـاء كي تمتشط الشـعثة وتسـتحد المغيبة ولا ينبغي أن يطـرق أهله ليلا فـإذا دخل البلد فليقصد المسـجد أولا وليصل ركعـتين فهو السـنة حـديث صلاة ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر تقدم في الصلاة كذلك كان يفعل رسول

الله صلى الله عليه وسـلم فـإذا دخل بيته قـال توبا توبا لربنا أو با لا يغـادر علينا حوبا فـإذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيـارة بيته وحرمه وقـبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعـود زاهـدا في الـدنيا راغبا في الآخـرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقـاء الـبيت البـاب الثـالث في الآداب الدقيقة والأعمـال الباطنة بيـان دقائق الآداب وهي عشرة الأول أن تكون النفقة حلالا وتكـون اليد خالية من تجـارة تشـغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردالله تعـالى والقلب مطمئنا منصـرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من طريق أهل البيت إذا كـان آخر الزمـان خـرج الناس إلى الحج أربعة أصـناف سـلاطينهم للنزهة وأغنيـاؤهم للتجـارة وفقـراؤهم للمسـألة وقــراؤهم للســمعة حــديث إذا كــان في آخر الزمــان خــرج النــاس للحج أربعة أصــناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسـمعة أخرجه الخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول وليس فيه ذكر السـلاطين ورواه أبو عثمـان الصـابوني في كتـاب المـائتين فقـال تحج أغنيـاء أمـتي للنزهة وأوسـاطهم للتجـارة وفقـراؤهم للمسـألة وقراؤهم للرياء والسمعة وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا الـتي يتصـور أن تتصل بـالحج فكل ذلك مما يمنع فضـيلة الحج ويخرجه عن حـيز حج الخصـوص لا سـيما إذا كـان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بـأجرة فيطلب الـدنيا بعمل الآخـرة وقد كـره الورعـون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالـدنيا إلى الـدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الله سبحانه بالحجة الواحـدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه حــديث يــدخل بالحجة الواحــدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه أخرجه الــبيهقي من حــديث جــابر بســند ضعيف ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسـقط فـرض الإسـلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسـبه ومتجـره فـإن الله عز وجل يعطي الـدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالـدنيا وفي الخـبر مثل الـذي يغـزو في سـبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولـدها وتأخذ أجرها حـديث مثل الـذي يغـزو ويأخذ أجـرا مثل أم موسى ترضع ولـدها وتأخذ أجرها أخرجه ابن عـدي من حـديث معـاذ وقـال مستقيم الإسناد منكر المتن فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثـال أم موسى فلا بــأس بأخــذه فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيـارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجـرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم الثاني أن لا يعاون أعداء الله سـبحانه بتسـليم المكس وهم الصـادون عن المسـجد الحـرام من أمـراء مكة والأعراب المترصدين في الطريق فإن تسـليم المـال إليهم إعانة على الظلم وتيسـير لأســبابه عليهم فهو كالإعانة بـالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فـإن لم يقـدر فقد قـال بعض العلماء ولا بأس بما قاله إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فإن هـذه بدعة أحـدثت وفي الإنقيـاد لها ما يجعلها سـنة مطـردة وفيه ذل وصـغار على المسلمين ببذل جزية ولا معـنى لقـول القائل إن ذلك يؤخذ مـني وأنا مضـطر فإنه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسـباب الترفه فتكـثر مطالبته فلو كـان في زي الفقـراء لم يطـالب فهو الـذي سـاق نفسه إلى حالة الاضـطرار الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتـير ولا إسـراف بل على اقتصــاد وأعــني بالإســراف التنعم بــأطيب الأطعمة والترفه بشــرب أنواعها على عــادة المترقين فأما كثرة البذل فلا سـرف فيه إذ لا خـير في السـرف ولا سـرف في الخـير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقته في سـبيل عز وجل والـدرهم بسـبعمائة درهم قـال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقـول أفضل الحـاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسـلم الحج المـبرور ليس له جـزاء إلا الجنة فقيل له يا رسـول الله ما بر الحج فقـال طيب الكلام وإطعـام الطعـام حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له ما بر الحج قـال طيب الكلام وإطعـام

الطعـام أخرجه أحمد من حـديث جـابر بإسـناد لين ورواه الحـاكم مختصـرا وقـال صـحيح الإسناد الرابع ترك الرفث والفسوقوالجدال كما نطق به القـرآن والـرفث اسم جـامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجمـاع ومقدماته فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والـداعي إلى المحظـور محظـور والفسق اسم جـــامع لكل خـــروج عن طاعة الله عز وجل والجـــدال هو المبالغة في الخصـــومة والممـاراة بما يـورث الضـغائن ويفـرق في الحـال الهمة وينـاقض حسن الخلق وقد قـال سـفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم طيب الكلام مع إطعــام الطعــام من بر الحج والممــاراة تنــاقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكــون كثــير الاعـــتراض على رفيقه وجماله وعلى غـــيره من أصـــحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للســـائرين إلى بيت الله عز وجل ويلـــزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سـمي السـفر سـفرا لأنه يسـفر عن أخلاق الرجـال ولـذلك قـال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعــرف رجلا هل صــحبته في الســفر الــذي يســتدل به على مكـارم الأخلاق قـال لا فقـال ما أراك تعرفه الخـامس أن يحج ماشـيا إن قـدر عليه فـذلك الأفضل أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشـاة فـإن للحـاج الماشي بكل خطـوة يخطوها سـبعمائة حسـنة من حسـنات الحـرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسـنة بمائة ألف والاسـتحباب في المشي في المناسك والـتردد من مكة إلى الموقف وإلى مـــنى آكد منه في الطريق وإن أضـــاف إلى المشي الإحـــرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل وإتموا الحج والعمـرة لله وقـال بعض العلمـاء الركـوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سـلامته وتمـام حجه وهـــذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول بل ينبغي أن يفصل ويقـــال من ســـهل عليه المشي فهو أفضل فـإن كـان يضـعف ويـؤدى به ذلك إلى سـوء الخلق وقصـور عن عمل فالركوب له أفضل كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسـوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيها أو يكـتري حمـارا بـدرهم فقـال إن كـان وزن الـدرهم أشد عليه فـالكراء أفضل من المشي وإن كـان المشي أشد عليه كالأغنيـاء فالمشي له أفضل فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهـــدة النفس وله وجه ولكن الأفضل له أن يمشي ويصـرف ذلك الـدرهم إلى خـير فهو أولى من صـرفه إلى المكـاري عوضا عن ابتذال الدابة فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصـان المـال فما ذكـره غـير بعيد فيه السـادس أن لا يـركب إلا زاملة أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كـان يخـاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعـير فـإن المحمل يؤذيه والثاني اجتنات زي المترفين المتكبرين حج رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم حديث حج رسـول الله صـلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم أخرجه الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وطـاف على الراحلة لينظر النـاس إلى هديه وشـمائله حـديث طوافه صـلى الله عليه وسـلم على راحلته تقـدم وقـال صلى الله عليه وسلم خـذوا عـني مناسـككم حـديث خـذوا عـني مناسـككم أخرجه مسـلم والنسائي واللفظ له من حديث جابر وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجـاج وكـان العلمـاء في وقته ينكرونها فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قـال بـرزت من الكوفة إلى القادسـية للحج ووافيت الرفاق من البلـدان فـرأيت الحـاج كلهم على زوامل وجوالقـات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا محملين وكــان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحــدث الحجــاج من الــزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاجالسابع أن يكون رث الهيئة أشعث أغـبر غـير مسـتكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديـوان المتكـبرين المـترفهين ويخـرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصـوص الصـالحين فقد أمر صـلى الله عليه وسـلم بالشـعث والاختفاء حديث الأمر بالشعث والاختفاء أخرجه البغوي والطبراني من حـديث عبد الله بن أبي حـدرد قـال قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم تمعـددوا واخشوشـنوا وانتضـلوا

وامشوا حفـاة وفيه اختلاف ورواه ابن عـدي من حـديث أبي هريـرة وكلاهما ضـعيف ونهى عن التنعم والرفاهية حـــديث فضـــالة بن عبيد في النهي عن التنعم والرفاهية وأن النـــبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الإرفاه ولأحمد من حديث معـاذ إيـاك والتنعم الحـديث في حـديث فضـالة بن عبيد وفي الحـديث إنما الحـاج الشـعث النفث حـديث إنما الحاج الشعث التفث أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر وقـال غـريب ويقـول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق حديث يقـول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق أخرجه الحاكم وصـححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حـديث عبد الله بن عمر وقـال تعـالى ثم ليقضـوا تفثهم والتفث الشـعث والاغـبرار وقضـاؤه بـالحلق وقص الشـارب والأظفـار وكتب عمر بن الخطـاب رضي الله عنه إلى أمـراء الأجنـاد اخلولقـوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمـرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روي أنه صلى الله عليه وسلم كـان في سفر فنزل أصـحابه مـنزلا فسـرحت الإبل فنظر إلى أكسـية حمر على الأقتـاب فقـال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم حـديث أنه صـلى الله عليه وسـلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحـديث أخرجه أبو داود من حـديث رافع بن خـديج وفيه رجل لم يسم قـالوا فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حـتى شـرد بعض الإبل الثـامن أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خـارج عن حد طاقتها والنـوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الـورع لا ينـامون على الـدواب إلا غفـوة عن قعـود وكـانوا لا يقفـون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي حـديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي أخرجه أحمد من حديث سـهل بن معـاذ بسـند ضـعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بـذلك فهو سـنة حـديث الـنزول عن الدابة غـدوة وعشـية يريحها بـذلك أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد أن النبي صلى الله عليه وسـلم كـان إذا صلى الفجر في السفر مشى ورواه البيهقي في الأدب وقـال مشى قليلا وناقته تقـاد وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كـان يـنزل عنها ليكون بـذلك محسـنا إلى الدابة فيكـون في حسـناته ويوضع في ميزانه لا في مـيزان المكـاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طـولب به يـوم القيامة قـال أبو الـدرداء لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاصـمني إلى ربك فـإني لم أكن أحملك فـوق طاقتك وعلى الجملة في كل كبد حـراء أجر فلـيراع حق الدابة وحق المكـاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسـرور قلب المكـاري قـال رجل لابن المبـارك احمل لي هـذا الكتـاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجمال فإني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصـحاب كتـاب لا وزن له وهو طريق الحـزم في الـورع فإنه إذا فتح بـاب القليل انجر إلى الكثـير يسـيرا يسـيرا التاسع أن يتقـرب بإراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكـون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله إنه تحسينه وتسـمينه وسـوق الهـدي من الميقـات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده وليـترك المكـاس في شـرائه فقد كـانوا يغـالون في ثلاث ويكرهونالمكـاس فيهن الهـدي والأضـحية والرقبة فـإن أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله وروى ابن عمر أن عمر رضي الله عنهما أهدى بختية فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يبيعها ويشـتري بثمنها بـدنا فنهـاه عن ذلك وقـال بل أهدها حـديث ابن عمر أن عمر أهـدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينـار فسـأل رسـول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقـال بل اهـدها أخرجه أبو داود وقال انحرها وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينـار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثـير اللحم ولكن ليس المقصـود اللحم إنما المقصـود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل ف لن ينال الله لحومها ولا

دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العـدد أو قل وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقـال العج والثج حـديث سـئل رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ما بر الحج فقـال العج والثج أخرجه الترمـذي واسـتغربه وابن ماجه والحـاكم وصـححه والـبزار واللفظ له من حـديث أبي بكر وقـال البـاقولي أي الحج أفضل والعج هو رفع الصـوت بالتلبية والثج هو نحر البـدن وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من إهراقه دما وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكـان قبل أن يقع بـالأرض فطيبـوا بها نفسا حـديث عائشة ما عمل ابن آدم يـوم النحر أحب إلى الله من إهراقه دما الحـديث أخرجه الترمـذي وحسـنه ابن ماجه وضـعفه ابن حبـان وقـال البخاري إنه مرسل ووصله ابن خزيمة وفي الخبر لكم بكل صـوفة من جلـدها حسـنة وكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا حديث لكم بكل صوفة من جلـدها حسـنة وكل قطـرة من دمها حسـنة وإنها لتوضع في المـيزان فأبشـروا أخرجه ابن ماجه وصححه البيهقي من حديث زيد بن أرقم في حديث فيه بكل شعرة حسنة قـالوا فالصـوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفي رواية للبيهقي لكل قطرة حسـنة قـال البخـاري لا يصح وروى أبو الشـيخ في كتـاب الضـحايا من حـديث علي أما إنها يجـاء بها يـوم القيامة بلحومها ودمائها حـــتى توضع في ميزانك يقولها لفاطمة وقـــال صـــلى الله عليه وســـلم استنجدوا هداياكم فإنها مطاياكم يـوم القيامة العاشر أن يكـون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بـدن إن أصـابه ذلك فـإن ذلك من دلائل قبـول حجه فـإن المصـيبة في طريق الحج تعـدل النفقة في سـبيل الله عز وجل الدرهم بسـبعمائة درهم بمثابة الشـدائد في طريق الجهـاد فله بكل أذى احتمله وخسـران أصابه ثـواب فلا يضـيع منه شـيء عند الله عز وجل ويقـال إن من علامة قبـول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل بإخوانه البطالين إخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجـالس الـذكر واليقظة بيـان الأعمـال الباطنة ووجه الإخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشـريفة وكيفية الافتكـار فيها والتـذكر لأسـرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخـره اعلم أن أول الحج الفهم أعـني فهم موقع الحج في الـدين ثم الشـوق إليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثـوب الإحـرام ثم شـراء الـزاد ثم اكـتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمـور تـذكرة للمتـذكر وعـبرة للمعتـبر وتنبيه للمريد الصـادق وتعريف وإشـارة للفطن فلـنرمز إلى مفاتحها حـتى إذا انفتح بابها وعـرفت أسـبابها انكشـفت لكل حـاج من أسـرارها ما يقتضـيه صـفاء قلبه وطهـارة باطنه وغزارة فهمه أما الفهم اعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركـات والسـكنات ولأجل هـذا انفـرد الرهبـانيون في الملل السـالفةعن الخلق وانحـازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللـذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثـنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقـال ذلك بـأن منهم قسيسـين ورهبانا وأنهم لا يسـتكبرون فلما انـدرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسـأله أهل الملل عن الرهبانية والسـياحة في دينه فقـال صـلى الله عليه وسـلم أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شـرف حـديث سـئل عن الرهبانية والسـياحة فقـال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أخرجه أبو داود من حـديث أبي أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة فقال إن سياحة أمتي الجهاد في سـبيل الله رواه الطبراني بلفظ إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهـاد في سـبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية امتي الرباط في نحر العدو وللـبيهقي في الشـعب من حـديث أنس رهبانية أمـتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمـذي وحسـنه والنسـائي في اليـوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسـول الله إني أريد أن أسـافر فأوصـني قـال

عليك بتقـوى الله والتكبـير على كل شـرف يعـني الحج وسـئل صـلى الله عليه وسـلم عن السـائحين فقـال هم الصـائمون حـديث سـئل عن السـائحين فقـال هم الصـائمون أخرجه البيهقي في الشـعب من حـديث أبي هريـرة وقـال المحفـوظ عن عبيد بن عمـير عن عمر مرسلا فـأنعم الله عز وجل على هــذه الأمة بــأن جعل الحج رهبانية لهم فشــرف الــبيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعبــاده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملـوك يقصـده الـزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سـحيق شـعثا غـبرا متواضـعين لـرب الـبيت ومسـتكينين له خضـوعا لجلاله واسـتكانة لعزته مع الاعــتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكــون ذلك أبلغ في رقهم وعبــوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتـدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سـبيل التكـرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكـاة إرفـاق ووجهه مفهـوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بـالكف عن الشـواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفـوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما تـرددات السـعي ورمي الجمـار وأمثـال هـذه الأعمـال فلا حظ للنفـوس ولا أنس فيها ولا اهتـداء للعقل إلى معانيها فلا يكـون في الإقـدام عليها بـاعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثـال للأمر من حيث إنه أمر واجب الإتبـاع فقط وفيه عـزل للعقل عن تصـرفه وصـرف النفس والطبع عن محل أنسه فـإن كل ما أدرك العقل معنـاه مـال الطبع إليه ميلا ما فيكــون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكــاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقـدم في الزكـاة ولم يقل ذلك في صـلاة ولا غيرها وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمـالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الإستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصــرفها عن مقتضى الطبــاع والأخلاق مقتضى الإســترقاق وإذا تفطنت لهــذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسـرار التعبـدات وهـذا القـدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعـالى وأما الشـوق فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوكفقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له وأن من قصد الـبيت في الـدنيا جـدير بـأن لا يضـيع زيارته فـيرزق مقصـود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكـريم في دار القـرار من حيث إن العين القاصــرة الفانية في دار الـــدنيا لا تتهيـــألقبول النظر الى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تسـتعد للاكتحـال به لقصـورها وأنها إن أمـدت في الـدار الآخـرة بالبقـاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصـار ولكنها بقصد الـبيت والنظر إليه تستحق لقاء رب الـبيت بحكم الوعد الكـريم فالشـوق إلى لقـاء الله عز وجل يشـوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضـافة والـبيت مضاف إلى الله عز وجل فبـالحرى أن يشـتاق إليه لمجـرد هـذه الإضـافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثــواب الجزيل وأما العــزم فليعلم أنه بعزمه قاصــدا إلى مفارقة الأهل والوطن ومهـاجرة الشـهوات واللـذات متوجها إلى زيـارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سـبحانه بعيـدا عن شـوائب الريـــاء والســـمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصـــده وعمله إلا الخـــالص وإن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الله وحرمه والمقصود غيره فليصـحح مع نفسه العـزم وتصـحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالـذي هو خـــير وأما قطع العلائق فمعنــــاه رد المظــــالم والتوبة الخالصة لله تعــــالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملـوك وأنت مضـيع أمـره في منزلك هـذا ومسـتهين به

ومهمل له أولا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فـإن كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفــات إلى ما وراءك لتكــون متوجها إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سـفرك أولا إلا النصب والشـقاء وآخـرا إلا الطرد والـرد وليقطع العلائق عن وطنه انقطع من قطع عنه وقـدر أن لا يعـود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فإن المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سـبحانه وليتـذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسـفر الآخـرة فـإن ذلك بين يديه على القـرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهـذا السـفر وأما الـزاد فليطلبه من موضع حلال وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطـول من هـذا السـفر وأن زاده التقـوى وأن ما عـــداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند المـــوت ويخونه فلا يبقى معه كالطعـــام الـرطب الـذي يفسد في أول منـازل السـفر فيبقى وقت الحاجة متحـير محتاجا لا حيلة له فليحـذر أن تكـون أعماله الـتي هي زاده إلى الآخـرة لا تصـحبه بعد المـوت بل يفسـدها شوائب الرياء وكدورات التقصير وأما الراحلة إذا أحضرها فليشـكر الله بقلبه على تسـخير الله عز وجل له الـدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشـقة وليتـذكر عنـده المـركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنـازة الـتي يحمل عليها فـإن أمر الحج من وجه يـوازي أمر السفر إلى الآخـرة ولينظر أيصـلح سـفره على هـذا المـركب لأن يكـون زادا له لـذلك السفر على ذلك المركب فما أقـرب ذلك منه وما يدريه لعل المـوت قـريب ويكـون ركوبه للجنـازة قبل ركوبه للجمل وركوبالجنـازة مقطـوع به وتيسر أسـباب السـفر مشـكوك فيه فكيف يحتـاط في أسـباب السـفر المشـكوك فيه ويسـتظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن وأما شراء ثوبي الإحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه فيه سيرتديه ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثيـــاب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عاداته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد المـوت إلا في زي مخـالف لـزي الـدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن وأما الخروج من البلد فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل في سفر لا يضـاهي أسـفار الــدنيا فليحضر في قلبه أنه مـاذا يريد وأين يتوجه وزيـارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشـوقوا فاشـتاقوا واستنهضـوا فنهضـوا وقطعـوا العلائق وفـارقوا الخلائق وأقبلـوا على بيت الله عز وجل الـذي فخم أمـره وعظم شـأنه ورفع قـدره تسـليا بلقـاء الـبيت عن لقـاء رب الـبيت إلى أن يرزقـوا منتهى منـاهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصـول والقبـول لا إدلالا بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمـال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجـاء لتحقيقه وعـده لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافدا إليه إذ قال جل جلاله ومن يخرج من بيته مهـاجرا إلى الله ورسـوله ثم يدركه المـوت فقد وقع أجره على الله وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتـذكر فيها ما بين الخـروج من الـدنيا بـالموت إلى ميقـات يـوم القيامة وما بينهما من الأهـوال والمطالبـات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقـارب القـبر وديدانه وما فيه من الأفـاعي والحيـات ومن انفـراده من أهله وأقاربه وحشة القـبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزودا لمخـاوف القـبر وأما الإحـرام والتلبية من الميقات فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مـترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فـــإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واسـتوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعـدة ولم يسـتطع أن يلـبي فقيل له لم لا تلـبي فقـال أخشى أن يقـال لي لا لبيك ولا سـعديك فلما لـبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يــزل

يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال أحمد بن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني
رضي الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال يا
أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من
ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حلة ثم
لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك
وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله عز وجل إذ قال
وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في
عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين
ومردودين ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا
يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لاوأما دخول مكة فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى
حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا
يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع
الأوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام
المستجير اللائذ غير مضيع وأما وقوع البصر على البيت فينبغي أن يحضر عنده عظمة
البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه وارج أن يرزقك الله
تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم واشكر الله تعالى
على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب
الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين في
الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة
في شيء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة وأما الطواف بالبيت
فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه
في كتاب الصلاة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش
الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك
بذكر رب البيت حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت
وتختم بالبيت واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وأن البيت
مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما
أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب
وأن عالم الملك والشهادة مدركة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب وإلى
هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السموات بإزاء الكعبة فإن طواف
الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف
أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم حديث من تشبه
بقوم فهو منهم أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح والذي يقدر على مثل
ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين
لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى وأما الاستلام فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على
طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى
ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الحجر الأسود
يمين الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه حديث ابن عباس
الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه الحديث تقدم في العلم من حديث
عبد الله بن عمرو وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام
طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في
كل جزء من بدنك لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة
وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر
له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو
وبذل الأمن في المستقبل وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فإنه يضاهي
تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرىإظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء
للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به

الملك في حقه من قبـول أو رد فلا يـزال يـتردد على فنـاء الـدار مـرة بعد أخـرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمـروة تـردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسـنات والمـروة بكفة السـيئات وليتذكر تردده بين الكفتين نـاظرا إلى الرجحـان والنقصـان مـترددا بين العـذاب والغفـران وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصـوات وبـاختلاف اللغـات واتبـاع الفـرق أئمتهم في الـترددات على المشـاعر اقتفـاء لهم وسـيرا بسـيرهم عرصـات القيامة واجتمــاع الأمم مع الأنبيــاء والأئمة واقتفــاء كل أمة نبيها وطمعهم في شــفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول وإذا تذكرت ذلك فـألزم قلبك الضـراعة والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر في زمرة الفـائزين المرحـومين وحقق رجـاءك بالإجابة فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضـرة الجلال إلى كافة الخلق بواسـطة القلـوب العزيــزة من أوتــاد الأرض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبــدال والأوتــاد وطبقة من الصـالحين وأربـاب القلـوب فـإذا اجتمعت هممهم وتجـردت للضـراعة والابتهـال قلـوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيـديهم وامتـدت إلى أعنـاقهم وشخصت نحو السـماء أبصـارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سـعيهم ويـدخر عنهم رحمة تغمـرهم ولـذلك قيل إن من أعظم الـذنوب أن يحضر عرفـات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتـاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصـوده فلا طريق إلى اسـتدرار رحمة الله سـبحانه مثل اجتمـاع الهمم وتعـاون القلـوب في وقت واحد وأما رمي الجمـار فاقصد به الإنقيـاد للأمر إظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الإمتثـال من غـير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشـبه بـإبراهيم عليه السـلام حيث عـرض له إبليس لعنه الله تعـالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجـارة طـردا له وقطعا لأمله فـإن خطر لك أن الشـيطان عـرض له وشـاهده فلـذلك رمـاه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الـذي ألقـاه في قلبك ليفـتر عزمك في الــرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائــدة فيه وأنه يضـاهي اللعب فلم تشــتغل به فـاطرده عن نفسك بالجد والتشـمير في الـرمي فيه بـرغم أنف الشـيطان واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة تـرمي به وجه الشـيطان وتقصم به ظهـره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه وأما ذبح الهـدي فـاعلم أنه تقـرب إلى الله تعـالى بحكم الإمتثـال فأكمل الهـدي وارج أن يعتق الله بكل جـزء منه جـزءا منك من النـار حـديث أنه يعتق بكل جزء من الأضحية جزءا من المضـحي من النـار لم أقف له على أصل وفي كتـاب الضـحايا لأبي الشيخ من حديث أبي سعيد فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما تقــدم من ذنوبك يقوله لفاطمة رضي الله عنها وإسـناده ضـعيف فهكـذا ورد الوعد فكلما كـان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كـان فـداؤك من النـار أعم وأما زيـارة المدينة فـإذا وقع بصـرك على حيطانها فتـذكر أنها البلـدة الـتي اختارها الله عز وجل لنبيه صـلى الله عليه وسـلم وجعل إليها هجرته وأنها داره الـتي شـرع فيها فـرائض ربه عز وجل وسـنته وجاهد عـدوه وأظهر بها دينه إلى أنتوفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القـائمين بـالحق بعده رضي الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع أقدام رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عند تردداته فيها وأنه ما من موضع قــدم تطــؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيــزة فلا تضع قـدمك عليه إلا عن سـكينة ووجل وتـذكر مشـيه وتخطيه في سـككها وتصـور خشـوعه وسـكينته في المشي وما اسـتودع الله سـبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكـره مع ذكـره تعـالى حـتى قرنه بـذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صـوته فـوق صوته ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشـاهدته واسـتماع كلامه وأعظم تأسـفك على ما فاتك من صـحبته وصـحبة أصـحابه رضي الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الـدنيا وأنك من رؤيته في الآخـرة على خطر وأنك ربما لا تـراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك كما قـال صـلى الله عليه وسـلم يرفع الله إلي أقواما فيقولـون يا محمد فـأقول يا رب أصـحابي فيقـول إنك لا تـدري ما أحـدثوا

بعدك فأقول بعدا وسحقا حديث يرفع إلي أقوام فيقولـون يا محمد يا محمد فـأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسـعود وأنس وغـيرهم دون قوله يا محمد يا محمد فـإن تـركت حرمة شـريعته ولو في دقيقة من الـدقائق فلا تـأمن أن يحـال بينك وبينه بعـدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمـان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في الدنيا بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سـمحت نفسك بالسـفر بمجـرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجـدرك بـأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة فإذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه صـلى الله عليه وسـلم ولأول المسـلمين وأفضـلهم عصـابة وأن فـرائض الله سـبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشـوع من قلب كل مـؤمن كما حكي عن أبي سـليمان أنه قـال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هـذا قـبر النـبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما أفـاق قـال أخرجـوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قـبره إلا كما كنت تقـرب من شخصه الكـريم لو كـان حيا وكما كنت تـرى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد مـاثلا بين يديه فكـذلك فافعل فـإن المس والتقبيل للمشـاهد عـادة النصـارى واليهود واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضـوعا في اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أن الله تعـالى وكل بقـبره ملكا يبلغه سـلام من سـلم عليه من أمته حديث إن الله وكل بقبره صلى الله عليه وسـلم ملكا يبلغه سـلام من سـلم عليه من أمته أخرجه النسائي وابن حبان والحـاكم من حـديث ابن مسـعود بلفظ إن لله ملائكة سـياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السـلام وهـذا في حق من لم يحضر قـبره فكيف بمن فـارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشـهده الكـريم إذ فاته مشـاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صـلى علي مـرة واحـدة صـلى الله عليه عشرا حديث من صلى علي واحـدة صـلى الله عليه عشـرا أخرجه مسـلم من حـديث أبي هريرة وعبد الله بن عمـرو فهـذا جـزاءه في الصـلاة عليه بلسـانه فكيف بالحضـور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبي صلى الله عليه وسلم المنـبر ومثل في قلبك طلعته البهية كأنها على المنبروقد أحـدق به المهـاجرون والأنصـار رضي الله عنهم وهو صـلى الله عليه وسـلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهـذه وظيفة القلب في أعمـال الحج فـإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخـوف وأنه ليس يـدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعـالى ووجد أعماله قد اتزنت بمـيزان الشـرع فليثق بـالقبول فـإن الله تعـالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سـطوة عـدوه إبليس لعنه الله فـإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر الآخر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العنـاء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك تم كتاب أسرار الحج يتلـوه إن شـاء الله تعـالى كتاب آداب تلاوة القرآن.